

سيكولوجية التذوق الجمالي

د منصورى زواوى

قسم العلوم الاجتماعىة

psysba.com

التذوق الجمالى

- يُعَدُّ التذوق الفننى ظاهرة معقدة و ثرىة؛ فقد تعددت اتجاهات الباحثىن و الكتاب فى تناولهم له كُلى
- من زوىة تخصصه، و مَا عَزَزَ ذلك الثراء هو هذا الإيقاع المتغىر الذى يتسم به من عصر إلى آخر، و من ثقافة إلى أخرى.

تعريف التذوق الجمالي لغة

- ورد في لسان العرب أن الذوق مصدرٌ لذاق الشيء، يُذوقُ ذَوْقًا وَمَذَاقًا والمَذَاقُ هُوَ طَعْمُ الشَّيْءِ،
- والتذُّوقُ يكون بالفَمِّ وبغير الفَمِّ، أما الفعل تَذَوَّقَ أي ذَاقَ مَرَّةً بعد مَرَّةً،
- والكلمة ذاتُ أصلٍ مادي لكن معناها اتسع وأصبحت تُطَلَّقُ عَلَى كُلِّ مَا يُدْرِكُهُ المرءُ مِنْ خِلالِ حَوَاسِهِ وَجَدَانِهِ

تعريف التذوق الجمالي اصطلاحاً

- جاء في المعجم الفلسفي تعريف للذوق أو التذوق بأنه ملكة الحكم على الأعمال الفنية عن طريق الإحساس والتجربة الشخصية دون تقييد بقوَّاءِ مُعَيَّنَةٍ وكثيراً ما تدخل في هذا الحكم ميولُ الفنان وهوايائه
- و يُعَرَّفُهُ بُوْشْكَا بقوله يشير التذوق إلى كل من القدرة على استمداد السرور واللذة من الأشياء الطبيعية والفنية، والقدرة على تمييز خصائص الأشياء .

تعريف التذوق الجمالي اصطلاحاً

- وَحَسَبَ هِيَوْم ، يُفْهَمُ الذوق على أنه وسيلة لتمييز بعض خصائص الأشياء من خلال الحواس الخمسة
- أما نادال فيرى أن التذوق الجمالي هو تلك القدرة التي تُمكنُ الإنسان من تقسيم العالم إلى أشياء جميلة وقبيحة، وهي قدرة مبنية على العمليات الإدراكية والعاطفية الموجودة من قبل
- يُعرَفُ هيدجر التذوق بأنه وظيفة المتذوق في إعادة الإنتاج للرؤية الإبداعية للموضوع الجمالي

تعريف التذوق الجمالي اصطلاحاً

- مما سبق من تعريفات نلاحظ أن معظمها يتفق على اعتبار التذوق قدرة، وبأنه وسيلة لتمييز الجميل من غيره و التمتع به،
- في حين يُفضل البعض استخدام مصطلح **حِفْظِ الْعَمَلِ الْفَنِيِّ**؛ عوضاً عن مصطلح التذوق الجمالي للدلالة على العملية ذاتها؛ أي أنه يرى أن المُتَلَقِّي لا يضيف شيئاً على العمل الفني، إنما يقتصر دوره على الاستقبال فحسب.

مكونات التذوق الجمالي

- يتميز التذوق الجمالي بكونه نسيجًا سلوكيًا مركبًا، حيث يتكون من مجموعة من العناصر التي يتميز كل منها بخصائص معينة، ويتم تناوله بالدراسة إما بشكله العام أو بتجزئته إلى عناصره،
- تتمثل هذه العناصر في الحساسية الجمالية، والتفضيل الجمالي، والحكم الجمالي، الخبرة الجمالية وفيما يلي تعريف لكل منها:

مكونات التذوق الجمالي

- الحساسية الجمالية :
 - تشير الحساسية الجمالية إلى المستوى الذي يظهره الفرد كدليل على الاستجابة للمثيرات ذات الصلة بأنماط خارجية متسقة.
 - الانطباع الإيجابي الذي تحدثه حواسنا تجاه ما هو جميل في البيئة من حيث الشكل، واللون، والتنظيم حسب القيمة الجمالية للمثيرات
 - الحساسية الجمالية تتطلب الحد الأدنى من التأثير بخصائص المثير

مكونات التذوق الجمالي

- التفضيل الجمالي
- نوع من الميل الجمالي الذي يتمثل في نزعة سلوكية عامة لدى المرء تجعله يحب أو يقبل على أو ينجذب نحو فئة مُعَيَّنة من أعمال الفن دون غيرها

مكونات التذوق الجمالي

- الحكم الجمالي
- درجة الإتقان بين الحكم الذي يُصدره المفحوص على العمل الفني وأحكام الخبراء في الفن، ويعني ذلك مدى مسايرة المفحوص للمقاييس الفنية الشائعة في عصره وثقافته
- المدى الذي يتطابق فيه حكم الشخص على القيمة الجمالية لعمل من الأعمال الفنية، مع معيار خارجي مناسب لقيمتها الجمالية والمعيار الخارجي المُسْتخدَم هنا مصدره حكم الخبراء

مكونات التذوق الجمالي

- الحكم الجمالي
- تقييم شخص ما قيمةً جماليةً أو فنيةً لمثير بصري مُعِين، و يمكن قياس الحكم باستخدام المعايير الخارجية المقدمة من الخبراء ، على الرغم من أن هذا قد تغير عبر التاريخ بتغير المعايير وتطورها، كما أنه لا يمكن أن يكون هناك معيارٌ لتحديد كيف يكون الجيد للفضيل الجمالي للشخص، نظار لأن تلك مسألة ذاتية وشخصية
- الحكم الجمالي هو ما يستند من تقييم للموضوعات الجمالية؛ إلى آراء الخبراء

مكونات التذوق الجمالي

- الخبرة الجمالية
- حالة مُعَيَّنَةٌ من الاندماج مع مثير أو موضوع جمالي، لا لسبب إلا لمواصلة التفاعل معه، نتيجة لما نشعر به من متعة واكتشاف وارتياح أو قلق، بتأثير من هذا التفاعل.
- يظهر هذا التعريف الصورة الديناميكية، والتفاعل الإيجابي الذي يطبع الخبرة الجمالية أثناء
- عملية التذوق وبذلك يمكن أن نُعده تعريفًا دقيقًا وأفيا.

مراحل عملية التذوق الجمالي:

- يشير **حنورة** إلى فكرة قدمها **هولمان** عن وجود مراحل لعملية التذوق الفني مشابهة لمراحل الإبداع وهي :
- **1مرحلة الاستعداد**: أي التهيؤ للوقوف بباب العمل لعله يسمح له بالدخول .
- **2مرحلة الاختمار** : أو الكمون أو الحضائنة، وهي تلك المرحلة التي تمر قبل أن يحدث اندماج مع فكرة أو موضوع العمل الفني، وهي تمثل نوعا من الانصراف أو عدم الحضور في المجال السيكولوجي للعمل، حتى وان ظل المتلقي في إطار الوجود الفيزيقي للعمل الفني.

مراحل عملية التذوق الجمالي:

- يشير **حنورة** إلى فكرة قدمها **هولمان** عن وجود مراحل لعملية التذوق الفني مشابهة لمراحل الإبداع وهي :
- **3مرحلة الإشراق** : أي حدوث انفتاح وفيض، بما يسمح بنوع من الفهم والاستيعاب والبلورة
- لمضمون العمل ومتعلقاته.
- **4مرحلة التحقق**: وهي المرحلة التي يصل فيها المتلقي إلى حكم وقرار يخص العمل، ويخلص فيه إلى تحديد علاقته به.

مراحل عملية التذوق الجمالي:

- ويُعقبُ حنورة 2000 على ما سبق قائلاً :
- من الواضح أن هذه المراحل التي يتحدث عنها هولمان باعتبارها مراحل عملية الإبداع، وباعتبارها في نفس الوقت مراحل عملية التذوق الفني، ليست أكثر من محاولة لتجزيء ما هو متحد، صحيح أن العملية التذوقية تشبه العملية الإبداعية، ولكن مسألة وجود مراحل لا تبدو مقنعة، لأنه بمجرد انخراط الشخص في عملية التلقي، فإنه يَهَبُ نفسه للعمل، حتى ليصعب التمييز من قبل المتلقي بينه وبين المجال الذي يعيش فيه

العوامل المؤثرة في التفضيل الجمالي

- يختلف الذوق الجمالي من شخص إلى آخر، ومن زمن إلى آخر؛
- حتى الشخص الواحد قد يختلف تذوقه للعمل الفني الواحد بين الفترة والأخرى،
- وهذا طبعاً لا يتم اعتباطاً، إنما العملية مبنية على أسس ومبادئ معينة، منها ما يتعلق بالفرد بحد ذاته، ومنها ما يتعلق بطبيعة المثير ومنها ما تعلق بالظروف والزمان والمكان والطريقة.

عوامل متعلقة بالمتلقي :

- عوامل ديمغرافية:
- أظهرت الدراسات أن المتغيرات الديموغرافية، مثل نوع الجنس، والوضع الاجتماعي والاقتصادي، والعمر، يمكن أن تؤثر على الاستجابات الجمالية .
- تُظهر دراسات أن الإناث يملن بشكل أكبر للفن بشكل عام بالمقارنة مع الذكور،
- بينما وجدت دراسة أخرى أن الذكور أكثر انجذاباً للفن الحديث أكثر من الإناث

عوامل متعلقة بالمتلقي :

- عوامل ديمغرافية:
- الإناث يفضلن الفن التمثيلي في حين يُفضل الذكور الفن التجريدي
- وقد يرجع ذلك إلى أن للإناث درجات أعلى في العصابية من الذكور
- الإناث يملن إلى تفضيل درجة أكبر من التعقيد أكثر من الذكور

عوامل متعلقة بالمتلقي :

- العوامل المعرفية:
- إن التفضيل الجمالي كما يشير ماركوس نادال هو العملية التي تتطوي على عمليات معرفية متعددة، والتي تُحدث في مناطق مختلفة من الدماغ وفي أطر زمنية مختلفة
- تأثير العمليات المعرفية في نظرنا الجمالية إذا اختلفت طبيعة الشخصين؛ فالصورة التكوينية التي يجدها الشخص الأول ساحرة، قد يعجز الثاني عن رؤيتها على الإطلاق، لاختلافهما في تصنيف إدراكتهما والتميز بينها .

عوامل متعلقة بالمتلقي :

- العوامل المعرفية:
- أكثر التأثيرات أهمية إنما يرجع إلى تنسيقها و الى ما يتحقق فيها من علاقات تصويرية، ولذلك لا يزال يتحتم علينا أن ندرس تلك العمليات الذهنية التي يُدرَكُ عن طريقها هذا التنسيق وهذه العلاقات
- أن ترجمة الرسالة الفنية واعطاء معنى لها متعلق بخبراتنا السابقة المترسبة عن الفن ومتعلقاته، حيث تصبح هذه الخبرات كخبرات إدراكية داخلية؛ لترجمة أي فن تقع عليه حواسنا فيما بعد؛ فمثلا معرفتنا بتاريخ الفن أو بالعقائد التي شك لت خلفية لهذا العمل الفني أو بقصة حياة صاحبه مُنتجه، تؤثر على الطريقة التي ندركها به

عوامل متعلقة بالمتلقي :

- **الخبرة والتدريب:**
- وقد دعمت كثير من الدراسات النتائج التي أسفرت عنها أبحاث أيزنك حيث أظهرت دراسة ل أهمية قاعدة المعرفة في تذوق الفن وتفضيله، هذه المعرفة التي تتأتى من تعليم الفن والتربية عليه،
- دور التدريب الفني في تفضيل المثيرات الفنية ذات المستوى العالي من الرقمي

عوامل متعلقة بالمتلقي :

- **الحالة النفسية و مميزات الشخصية:**
- مزاج المتلقي ونوعية العاطفة التي تطبع العمل الفني، يمكن أن يسهما إسهاما كبيرا في التذوق الفني بشكل عام
- وقد تبين من البحوث النفسية في هذا المجال أن تفضيل المعقد يُعد من دوافع بعض أنماط
- الشخصية، على أساس أنه عنصر من عناصر التذوق، فمن الناحية المزاجية اتضح أن الميل إلى التعقيد يرتبط ارتباطا إيجابيا بالرقعة، والمجازاة، واحترام الأحكام الأخلاقية.

عوامل متعلقة بخصائص المثير

- في دراسة للتفضيلات الجمالية للملابس والموضة تَبَيَّنَ أن الأفضلية تتحدد بنوعين من خصائص العناصر الداخلية والمحتوى الرمزي الخارجي؛
- فالعناصر الداخلية تتعلق بالخطوط، الألوان، الأشكال والتناسق، إلخ من المثيرات
- وخارجية تتعلق بقيمة الرمزية للمثير، على سبيل المثال تسميات مصممين والمتاجر أو أصحاب اللوحات والقصائد . فهذه الرموز الخارجية تؤثر على الأحكام الجمالية

عوامل متعلقة بخصائص المثير

- واستنادا إلى علماء النفس الجشططت، فنحن لا نسمع أو نرى عناصر بصرية وأصوات معزولة أو منفصلة، بل هيئات وتكوينات لها علاقة بحدوث تنظيم إدراكي في الجهاز العصبي، فبعض تنظيمات الأشكال مثل الانتظام، والتماثل، والبساطة هي في كثير من الأحيان كافية لانتقاء الأفضل بين شكلين أو أكثر
- التقويمات الجمالية تتأثر بمتغيرات مثل مدة التعرض للمثير، وتواتر التعرض، والوضوح
- كما أن الألفة بالمثير، أو الجودة، أو الغرابة التي تطبعه يمكن أن تؤثر على تذوقنا له
- الألفة والجدة في التذوق الأدبي

عوامل متعلقة بخصائص المثير

- إن حكم شخص ما على قطعة أدبية قراها مرات عديدة، يختلف عن حكمه على نفس القطعة حين يقرأها لأول مرة، لأنه في كل قراءة جديدة لها يكتشف أسراراً لم يلاحظها في المرة الأولى، وهذه الاكتشافات الجديدة في النص، قد تغير حكمه على النص، مما يؤدي إلى اختلاف في التذوق، وتجديد فيه حسبما يتوصل إليه القارئ
- و يُعتبر التعقيد و الغموض والبساطة من بين أهم وأشهر خصائص المثير وأكثرها دراسة.

عوامل متعلقة بخصائص المثير

- تباعدُ الأزمانِ و الأماكنِ:
- فالذوق في العصور القديمة، يختلف عنه في عصرنا الحاضر، وحكمُ ناقد كعبد القاهر الجرجاني على نص أدبي يختلف عن حكم ناقد في عصرنا هذا لنفس النص، وكل ذلك يعود إلى تطور العلم والثقافة، وظهور علوم ومخترعات جديدة بدلت الأذواقَ وغيرتها عما كانت عليه، والقارئُ أو المتذوقُ يختلفُ ذوقه في الصبا عنه في الشباب، وفي الشباب عنه في الهرم، وكل ذلك لتباعد الأزمنة وتحول الإنسان من طور إلى طور آخر يختلف عن الذي قبله اختلافاً كبيراً

العوامل البيئية و الثقافية

- أفكار الطبيعة السائدة هي بعينها الأفكار السائدة في كل عصر، ولا يُمكن إلا أن نشتم الأعمال الفنية من خلالها، وحكمها حكم المذاهب السياسية والأخلاقية والدينية
- كان الشاعر علي بن الجهم يسكن البادية ولما وفد على الخليفة ليمدحه قال شعرا :
أنت كالكلب في حفاظك للود * وكالتيس في قراع الخطوب
- فقام الخليفة بنقله إلى المدينة ليعيش ببغداد ليعود علي بن الجهم ممتدحا إياه بقصيدة جميلة رقيقة:
عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري
- ومن هذا نتضح لنا أهمية البيئة في تغير الأذواق واختلافها .

العوامل البيئية و الثقافية

- إن مفاهيم الدقة، والتناسق، والتوازن، والترابط، والحركة وغيرها من المصطلحات التي يتحدد فيها مقدار الإبداع الفني، هي وليدة المؤثرات الحضارية في الطبيعة وسمات جمال في الكون أدركها الإنسان وأودعها نتاجه وأعماله الفنية من أجل إيجاد حالة إبداع فني ،
- ومن هنا تكون النظرة إلى الإبداع في الحياة الإنسانية على هذا المستوى الشامل، المستمد من حقيقة الكون، والمؤثرات الحضارية والتيارات الجمالية، كقيلة بأن توسع مفهومنا الإبداعي وادراكنا الجمالي ولا تحصره في حدوده الصغيرة المعروفة . إبداع فني فيه تبدو حقيقة المجتمع وحقيقة الفرد الأنا فلا تختل هذه ولا تلك، وهذا يعني أن المؤثرات الحضارية والتيارات الجمالية السائدة في مجتمع ما هي التي تعكس صورة الحرية ومعناها فيه

طرق قياس التفضيل الجمالي :

- لقد تنبه الباحثون في الآونة الأخيرة إلى ضرورة ابتكار وسائل علمية لقياس الجمال وكذلك
- كشرط لدراسة الجمال بطريقة عملية، وتوصلوا لعدة أدوات بعضها وصفي، باستخدام الكلمات
- وبعضها يعتمد على دقة أكبر، لكن المشكلة التي كان يصطدم بها هذا النوع من الدراسات هو
- صعوبة الضبط والتحكم في الظاهرة الجمالية لما تتميز به من النسبية؛ كما أنه توجد اختلافات بين جمال وآخر، واختلافات في معايير القياس الجمالية.

طرق قياس التفضيل الجمالي :

- القياس المباشر :
- أسلوب الاختيار و الترتيب:
- أشار فخر إلى ثلاثة من الأساليب استخدمها في تجارب الجماليات، كان هناك أسلوب
- الاختيار، حيث يتم تقديم مجموعة من المثيرات مواضيع للأفراد المبحوثين أو المشاركين ويُطلب منهم المقارنة والاختيار بينها أو ترتيبها بناءً على ما تثيره من سرور ومتعة

طرق قياس التفضيل الجمالي :

- الاختبارات و المقاييس: من أهم المقاييس في البيئة الأجنبية :
- اختبار أيزنك للتفضيل الجمالي للمعقد والبسيط .
- اختبار الفن لبارون وولش
- وهو اختبارٌ يكشفُ عن حالة القَبُولِ وعدم القَبُولِ للرسومات، بعد ذلك تم توسيع نطاق الاختبار إلى 400 رسمة، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ تَفْضِيلِ الفَنَانِينَ وَغَيْرِ الفَنَانِينَ
- من أهم المقاييس المطبقة في البيئة العربية:
- اختبار التذوق البصري للأشكال من تأليف عبد السلام الشيخ،
- و مقياسُ الاتجاه نحو التفضيل
- الجمالي لعبد السلام الشيخ
- و مقياسُ التفضيل الجمالي لشاكر عبد الحميد وآخرين

طرق قياس التفضيل الجمالي :

- القياس غير المباشر للتفضيل الجمالي :
- تتمثل هذه القياسات في القياسات الفيزيولوجية كاستجابة الجلد الجلفانية، والتصوير بالرنين
- المغناطيسي الوظيفي... إلخ، مما يسمحُ بمراقبة الأثر الذي تُحدثه المثيراتُ وقياسه. ويُشترطُ هنا
- سلامةُ الأجهزة وصحةُ القياسات

النظريات المفسرة للتفضيل الجمالي

- عند تناول نظرية من النظريات لأي ظاهرة فإنه ليس بالضرورة أن تشمل هذه النظرية جميع الجوانب المتصلة بهذه الظاهرة، لاسيما إذا كانت هذه الظاهرة تتسم بالهلامية والمرونة من حيث تناولاتها ومداخلها، مثلما هي عليه حال التدوق الفني،
- والملاحظ أن كل نظرية كل تحاول تقديم تفسير لعملية التدوق الجمالي إنما تقدم جانبا واحدا من الصورة الكاملة له

النظرية التحليلية

- تمحورت مساهمة علم النفس التحليلي غالبا حول تحليل شخصيات الأفراد أو أعمالهم وأشهر مثال ما كتبه فرويد عن ليوناردو دافنشي، إضافة إلى بعض الشخصيات الأخرى التي نجدها متفرقة هنا وهناك في كتاباته وكتابات أتباعه، كتفسيره للإبداع الفني وتذوقه
- حيث يعتبرهما وسيلة للتصريف والتعبير عما هو مخفي في النفس من أجل تحقيق رغباتها التي لها امتداد لاشعوري؛ فهي تمثل حلولا توفيقية بين الرغبات البيولوجية الأساسية التي تنتمي إلى **الهو** وبين متطلبات **الأنا** و**الأنا العليا**، التي هي أجزاء من الشخصية التي تساهم في التكيف مع الواقع الخارجي ومع مطالب المجتمع

النظرية التحليلية

- على الرغم من أن نظرية التحليل النفسي اهتمت ببعض الجوانب الهامة في السلوك الجمالي ودراسة الخبرة التذوقية للمتلقي وأسباب شعوره باللذة،
- إلا أنه يُؤخذ عليها أنها أهملت الجوانب الموضوعية للعمل الفني لدرجة أنها لم تُكُنْ هناك أيُّ مناقشات تتناول الأبعاد الجمالية في العمل الفني، سواء كانت متعلقة بالخط أو اللون أو الشكل،
- كما يُؤخذ عليها، عدم الدقة في تناول الموضوعات وتفسيرها ويرجع ذلك إلى تركيزها على الدوافع واهمالها للوظيفة المعرفية.

النظرية الجشططية

- الحواس تحمل أو تنقل مادةً غير متبلورة أو غير منتظمة يُفَرَضُ
- عليها النظام من خلال العقل
- تؤكد على أن الشكل الجيد هو خاصية في الطبيعة عموماً عضوية كانت أم غير عضوية،
- الميل نحو إنتاج الأشكال البسيطة يمكن ملاحظته في العديد من الأنساق والمجالات الطبيعية، حيث أن القوى المتفاعلة تبذل ما في وسعها لخلق حالة من التوازن

شكرا

مع تمياني

دكتور

منصوري زاوي

قسم العلوم الاجتماعية

Psysba.com